

ثقافة التسامح والتعايش السلمي في المدرسة الرواقية

الباحث م. أحمد مجيد راضي

تاريخ/ تاريخ قديم

خلاصة البحث

عند البحث والتقصي في الموروث الفكري والانساني ومجمل النشاط الحضاري الذي خلفته لنا المدرسة الرواقية، فأننا نرى وبشكل واضح ماهية تعامل هذه المدرسة مع المجتمعات الانسانية ككتلة واحدة ودولة واحدة تكون الرابط الاساس والمركز الرئيس فيها هو رباط الانسانية، فضلا عن الاله الواحد المتحكم في العالم الذي يجعل جميع البشر متجهين نحو عبادة واحدة مما يجعله في بوتقة واحدة امام الله، فقد ادركت هذه المدرسة الاخلاقية تمام الادراك وبوعي تام ان التنوع والتعدد العرقي والعنصري هو شأن طبيعي وموجود في المجتمع الانساني منذ الخليفة الأولى للبشر ولا سبيل الى الغائه بل هو مصدر للثراء وسبباً للرقى، إذا ما تم ارساء مبدأ وثقافة التسامح والتعايش في المجتمع، ذلك لان هذا الاختلاف والتعدد في هذا الكون هو ضرورة اجتماعية وواقع ملموس، وفيه حكمة الهية، ومن هذا المنطلق كانت فلسفة الاخلاق الرواقية تمثل محور الفكر الرواقي، وذلك من خلال اعترافهم بضرورة وجود الدين كمؤسس للأخلاق الفاضلة، التي تتجلى من خلال التسامح لعقائد الشعب الدينية، وضرورة الاعتراف بالآخر من حيث إنها تجعل العالم أسرة واحدة أو ما يسمى بعالمية الكون، فضلا عن المساواة التامة بين بني البشر، فهي تنبذ كل عناصر التفرقة الجنسية واللونية والعبودية وتبحث في ميدان الانسانية التي لا تحدّها الحدود و لا الفواصل الجغرافية فهي تنظر الى الانسان كأن انسان بمعزل عن أية اعتبارات ثانوية. اما محاور البحث فقد جاء على ثلاثة محاور، تضمن المحور الأول مفهوم التسامح والتعايش السلمي لغةً واصطلاحاً، أما المحور الثاني فقد تناول زينون مؤسس المدرسة الرواقية والذي سطر فيه الضوء على التعريف بزينون والرواقية تسميتها وفلسفتها، اما المحور الثالث فقد ركز على الدولة الكونية الأخلاقية في المدرسة الرواقية ودورها في القضاء على الفوارق الاجتماعية، والذي ناقشنا فيه الاخلاق والفضيلة الرواقية الطريق لوحدة العالم، فضلا عن الدولة الواحدة ودورها في ارساء الرابطة الانسانية.

الدراسة محاولة لإلقاء الضوء على جانب مهم من جوانب الحياة الفكرية والفلسفية في اليونان الا وهي المدرسة الرواقية، عند البحث والتقصي في الموروث الفكري والانساني ومجمل النشاط الحضاري الذي خلفته لنا المدرسة الرواقية، فأنا نرى وبشكل واضح ماهية تعامل هذه المدرسة مع المجتمعات الانسانية ككتلة واحدة ودولة واحدة تكون الرابط الاساس والمرتكز الرئيس فيها هو رباط الانسانية، فضلا عن الاله الواحد المتحكم في العالم الذي يجعل جميع البشر متجهين نحو عبادة واحدة مما يجعله في بوتقة واحدة امام الله، فقد ادركت هذه المدرسة الاخلاقية تمام الادراك وبوعي تام ان التنوع والتعدد العرقي والعنصري هو شأن طبيعي وموجود في المجتمع الانساني منذ الخليقة الأولى للبشر ولا سبيل الى الغائه بل هو مصدر للثراء وسبباً للرقى، إذا ما تم ارساء مبدأ وثقافة التسامح والتعايش في المجتمع، ذلك لان هذا الاختلاف والتعدد في هذا الكون هو ضرورة اجتماعية وواقع ملموس، وفيه حكمة الهية، ومن هذا المنطلق كانت فلسفة الاخلاق الرواقية تمثل محور الفكر الرواقي، وذلك من خلال اعترافهم بضرورة وجود الدين كمؤسس للأخلاق الفاضلة، التي تتجلى من خلال التسامح لعقائد الشعب الدينية، وضرورة الاعتراف بالآخر من حيث إنها تجعل العالم أسرة واحدة أو ما يسمى بعالمية الكون، فضلا عن المساواة التامة بين بني البشر، فهي تنبذ كل عناصر التفرقة الجنسية واللونية والعبودية وتبحث في ميدان الانسانية التي لا تحدها الحدود و لا الفواصل الجغرافية فهي تنظر الى الانسان كأن انسان بمعزل عن أية اعتبارات ثانوية. اما محاور البحث فقد جاء على ثلاثة محاور، تضمن المحور الأول مفهوم التسامح والتعايش السلمي لغةً واصطلاحاً، أما المحور الثاني فقد تناول زينون مؤسس المدرسة الرواقية والذي سلب فيه الضوء على التعريف بزينون والرواقية تسميتها وفلسفتها، اما المحور الثالث فقد ركز على الدولة الكونية الأخلاقية في المدرسة الرواقية ودورها في القضاء على الفوارق الاجتماعية، والذي ناقشنا فيه الاخلاق والفضيلة الرواقية الطريق لوحدة العالم، فضلا عن الدولة الواحدة ودورها في ارساء الرابطة الانسانية. لقد تضمن البحث ثلاث محاور تناولنا في المحور الأول مفهوم التسامح والتعايش السلمي لغةً واصطلاحاً، في حين تضمن المحور الثاني زينون مؤسس المدرسة الرواقية والذي جاء على نقطتين اساسيتين هما التعريف بزينون والرواقية تسميتها ونشأتها، اما المحور الثالث فقد تطرق الى الدولة الكونية الأخلاقية في المدرسة الرواقية ودورها في القضاء على الفوارق الاجتماعية. والذي تحدثنا فيه عن الاخلاق والفضيلة الرواقية الطريق

لوحدة العالم ،الدولة الواحدة ودورها في ارساء الرابطة الانسانية. لينتهي هذا البحث بعرض أهم الاستنتاجات التي توصل اليها الباحث.

المحور الأول: مفهوم التسامح والتعايش السلم

اولاً: مفهوم التسامح لغةً واصطلاحاً

لكل مسمى معنيين الأول المعنى اللغوي، والثاني المعنى الاصطلاحي، والتسامح لغوياً السماح والسماحة: الجود سمح سماحة وسموحة وتسامحاً جاد يقال: سمح واسمح إذا جاد واعطى عن كرم وسخاء والمسامحة والمساهلة، وتسامحوا تساهلوا وفي الحديث السماح رباح أي المساهلة في الأشياء تريح صاحبها، وتقول العرب عليك بالحق فان فيه لمسحاً؛ أي متسعاً، وسمح له بحاجته واسمح أي سهل ويسر امره^(١).

اما المعنى الاصطلاحي: فيشير الى الاعتراف بقيمة الآخر وجدارته ونديته وحقوقه المتساوية مع الجميع، فكل شخص انساني ملزم بالاعتراف بالآخر، سواء كان مماثلاً له أم مختلفاً عنه، والقصد منه هو الأيمان بحق كل شخص في العيش على وفق قناعاته في مجتمع آمن تسود فيه علاقات التفاهم والتساكن والتعايش وتكافؤ الفرص والعدالة والانصاف والاعتراف ان اكبر المساوي التي يمكن ان تصيب الانسان هو غياب التقدير والاعتراف. وبالتالي نجد التسامح يهدف الى ايجاد الحد الأدنى من التعايش بين الناس، فهو الوسيلة الى الانسجام الانساني وعملية عرض الافكار وفهم اراء الغير حتى يتنازل الانسان عما علق برأيه من انانية واعتداد بالرأي، من اجل الانسجام مع فكر من يختلف معه وبذلك يحقق الغاية الفعلية لأستمرارية التفاهم والتساكن بين افراد المجتمع، في ظل الامان الذي يستظل بظلاله كل من ينسجم مع مجتمعه في وحدة الموقف وسمو النفس والارتفاع من الضغائن والاحقاد^(٢).

ثانياً: مفهوم التعايش السلمي:

المفهوم في اللغة " التعايش " إذ ورد في المعجم الوسيط: التعايش على اللفة والمودة وعاشه عاش معه، والعيش معناها الحياة وما تكون به من المطعم والمشرب والدخل^(٣) وان لفظة التعايش هي مصدر لفعل تعايش ومعن تعايشوا : أي عاشوا على اللفة والمودة. واما التعايش الايجابي فهو منسوب الى الايجاب، والايجاب مصدر لفعل اوجب ايجاباً فالتعايش الايجابي هنا يعني العيش مع الآخرين بما يعود عليهم بالخير والنفع بعيداً عن الشر والمضرة^(٤).

اما في الاصطلاح فيعرف بانه " سياسة خارجية تنتهجها الدولة المحبة للسلام وتستند الى فلسفة مقتضاها نبذ الحرب بصفقتها وسيلة لفض المنازعات وتعاون الدولة مع غيرها من الدول لاستغلال الامكانيات المادية والطاقات الروحية استغلالاً يكفل تحقيق اقصى قدر ممكن من الرفاهية للبشر بغض النظر عن النظم السياسية او الاجتماعية او الاقتصادية"^(٥).

بينما يرى المؤلف الفرنسي (فرانسوا شاتليه) ان التعايش السلمي لا يقوم بين الدول فقط وانما بين الشعوب ايضاً وهنا تكمن الاهمية والضرورة معاً، اذ ان محرك السلم كمحرك الحرب تماماً ليس علاقة دولة بدولة، وانما بصورة اعمق معناه علاقة الشعوب بعضها ببعض^(٦).

وفي هذا الصدد يقول (انطونيا نسايز) ان التعايش يعني " مجتمعات متكاملة يعيش فيها الناس من مختلف الاعراق والاجناس والاديان منسجمين مع بعضهم بعضاً، ولا يتطلب ذلك أي شيء للتعايش سوى ان يعيش اعضاء تلك الجماعات معاً دون ان يقتل الآخر"^(٧).

وخلاصة ما تم استعراضه من تعريفات لمفهوم التسامح والتعايش نجد ان المدرسة الرواقية وبمؤسسها زينون قد تناولوا هذه المفاهيم بأسبقية قرون طوال، واضعين نصب فلسفتهم الدولة الكونية العالمية ذات البعد الأخلاقي الذي تكون نقطة ارتكاز المساواة التامة بين البشر والغاء الفوارق البشرية بمختلف اصنافها ومسمياتها.

المحور الثاني: زينون مؤسس المدرسة الرواقية

اولاً: من هو زينون

ثانياً: الرواقية تسميتها وفلسفتها

اولاً: من هو زينون

يعد زينون ذات الأصل الفينيقي مؤسس المدرسة الرواقية الاخلاقية ولد حوالي ٤٣٢ ق.م وتوفي عام ٢٧٠ ق.م^(٨)، عاش زينون في كيتيون (٣٣٥-٢٦٣ ق.م). كان أبوه تاجراً ويدعي مناسياس Mnaseas وعمل زينون نفسه في بداية حياته بالتجارة. وفي سن الثلاثين تحول الى الفلسفة. وهناك

رواية تقول إنه كان في سفينة تحمل بضاعة من أرجوان فينيقيا فتوجه بها الى أثينا فغرقت على مقربة من بيريه. ونجا زينون واستقر في أثينا وكان الأثينيون يلقبونه بالفينيقي. الذي وضع ركائز المدرسة الرواقية في أثينا حوالي ٣٠١ ق.م. لقد بدأ بدراسة فلسفة سقراط^(٩) عن طريق كتابات كسينوفون^(١٠) ثم انتقل الى أنتيستثيس^(١١) ليبقى متقلدا في عملية طلب العلم^(١٢)، ومن صفاته الجسمانية كان زينون طويل القامة نحيف الجسم شديد سواد الجلد، رأسه مائل على كتفه. وكان يرتدي الأقمشة البسيطة الرخيصة، ويقنع في مأكله بالقليل من الخبز والتين والعسل والقليل من النبيذ. وعن سلوكه فسلوك الرجل الوقور، وتبدو على هيئته سمات الجد والانقباض، ولكنه لم يكن يأنف أن يغشي أحيانا مجالس الأنس والمرح، وكان يؤثر الصمت على الثرثرة في حين كان الأثينيون يميلون الى كثرة الكلام، اذ يقول زينون في هذا الأمر " إن لنا لساناً واحداً وأذنين، لنعلم أننا ينبغي أن ننصت أكثر مما نتكلم"، فكان زينون موجز العبارة، لم يعن في كتابته بفصاحة ولا أسلوب، كان بنشأته يميل الى السليقة ويحتقر التصنع او التكلف على خشونة الطبع وغلظة القول، وسط قوم مغرمين بالجمال والرشاقة، فقد أجمع القدماء على ان زينون كان ذا خلق عالي، وان حياته على بساطتها كانت دائما قدوة طيبة ومثالاً أخلاقياً عالياً، بلغ هذا الحكيم من قوة الارادة وطول الصبر وضبط النفس والعفة والسيطرة على الهوى مبلغاً أدهش معاصريه، فكان الأثينيون يضربون به المثل قائلين " أضبط لنفسه من زينون!"^(١٣).

عاش زينون حتى بلغ من العمر ثمانية وتسعين سنة، ولما مات رثاه الأثينيون رثاء رسمياً، وأصدر أولو الأمر قراراً أعلنوا فيه أنه استحق تقدير الوطن لخدماته وحته الشبيهة على الفضيلة والحكمة، ولذلك منحوه تاجاً من ذهب وقبراً من مدافن العظماء^(١٤).

ثانياً: الرواقية تسميتها ونشأتها

سمية المدرسة الرواقية بهذا الاسم، وذلك لأن التعلم كان يتم في الرواق، وهذا الرواق كان في السابق مكان يجتمع فيه الشعراء والفلاسفة، فضلاً عن كونه مكان لممارسة المحاوراة والتعليم، وهذا الرواق مقصود به الرواق في هياكل أثينا القديمة^(١٥).

اما فيما يخص نشأتها، فهذه المدرسة هي مدرسة فلسفية روحية تأسست في ٣٠١ ق.م من قبل زينون الفينيقي الأصل كما تم ذكره سابقاً^(١٦)، وقد نشأت هذه المدرسة الرواقية في العصور

الهلينستية^(١٧) الغير مستقرة، على أثر موت الإسكندر المقدوني^(١٨)، مستجيبةً للأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية^(١٩) المتأزمة، مسهمةً بدورها، الى جانب المدرستين الأبيقورية^(٢٠) والريبية^(٢١)، في مساعدة المرء على الصمود أمام صروف الدهر وتقلباته، وهذا ما ادى الى ضرورة وجود نتائج فكر اغريقي؛ فكانت الفلسفات التي نشأت لتجيب على تساؤلات الاغريق فكانت هذه الفلسفة ضمن عدة فلسفات نشأت عن اليونان قبل الميلاد^(٢٢).

المحور الثالث: الدولة الكونية الأخلاقية في المدرسة الرواقية ودورها في القضاء على الفوارق الاجتماعية.

اولاً: الاخلاق والفضيلة الرواقية الطريق لوحدة العالم

ثانياً: الدولة الواحدة ودورها في ارساء الرابطة الانسانية

اولاً: الاخلاق والفضيلة الرواقية الطريق لوحدة العالم

لقد مثلت المدرسة الرواقية إحدى فلسفات المدارس الفلسفية القديمة، أي بعد أرسطو. ولهذا المذهب آراء في المنطق^(٢٣) وما وراء الطبيعة، ولكن الأخلاق كانت هدفه الأسمى^(٢٤). إذ يقول الفيلسوف الالمانى (ألبرت شفيتر) بهذا الخصوص " لم تبلغ الحركة الأخلاقية في الحضارة اليونانية مجدها إلا بما قامت به الفلسفة الرواقية من عمل عظيم في التربية"^(٢٥).

فالاخلاق هي تحصيل حاصل في البحث في الواجب الاخلاقي، أصله وطبيعته وغايته، إذ جعلت الفلسفة عند الرواقيين مدخلاً أساسياً للدخول الى المنطق والأخلاق والطبيعة، وقد ركز الكثيرون دراساتهم الفلسفية على خاصية الأخلاق، حتى جعلوها من أفضل الخصال التي يتمتع بها الفرد، إذ هي التي تجعل الإنسان يفضل البعد عن الرذائل والشهوات، وذلك كما فعل الفيلسوف سنيكا الذي قال (إن الفلسفة هي البحث عن الفضيلة نفسها، وبهذا تتحقق السعادة للبشرية جمعاء التي تمثلت في الزهد والترفع عن جميع الملذات ومزاولة التقشف والحرمان من أجل إعلان النفس الإنسانية وعدم سقوطها في الرذيلة)^(٢٦).

وقد تبلور هذا الاتجاه الفلسفي بعد موت ارسطو وتغير الظروف الاجتماعية والسياسية، حيث انصرف التفكير في الوجود الى البحث في السلوك الاخلاقي للانسانية والبشرية دون أي تفرقة^(٢٧). ويرى الرواقيون أن الغرض من هذه الحياة هو تحقيق السعادة لكل فرد، ويعرفون السعادة بأنها كبت الأنفعالات العاطفية والردائل المصقوتة وإخضاع الرغبات غير الاخلاقية لحكم العقل، إذ إن العقل هو السبيل الى النظر واختيار القيم الفضلى للإنسان^(٢٨). فالإنسان في اتباعه للطبيعة العقلانية انما يطابق نفسه في الواقع مع قوانين العالم الواسع، بمعنى لا توجد امكانية أمام الانسان لعصيان قوانين الطبيعة فهو مثل كل الأشياء الاخرى في العالم يتصرف وفق الضرورة ، وبهذا يرون الرواقيون ان الفضيلة هي الحياة بمقتضى العقل والاخلاقيات هي ببساطة الفعل العقلاني، ان العقل الكوني هو الذي يدبر حياتنا وليس الهوى والارادة الذاتية للفرد. والانسان الحكيم يلحق بوعي حياته بحياة الكون كله ويدرك نفسه كمجرد ترس في الآلة الكبرى، فهذا المبدأ الاخلاقي لم ينفرد به الرواقيون وحدهم فافلاطون وارسطو قالوا بنفس الشيء، فتأسس الاخلاقيات على العقل لا المشاعر او العواطف أو الحدوس الجزئية للنفس الفردية هو اساس كل فلسفة أخلاقية أصيلة، لكن الشيء الفريد عند هذه المدرسة الرواقية هو التفسير الخاص بها والذي تمثل بنظرتهم الى الانفعالات على انها لا عقلانية تماما وطالبوا بمحوها محو تاما وواجهوا الحياة على انها حركة ضد الانفعالات والعواطف بحيث يجب القضاء عليها قضاءً مبرماً^(٢٩).

لقد اكد الرواقيون ان الفضيلة وحدها خيرة والريذة وحدها شريرة وكل شيء عدا هذا لا قيمة له بالمرّة، والفقر والمرض والالام والموت ليست شرورا، التراث والصحة واللذة والحياة ليست خيرات، وفوق كل شيء اللذة ليست خيرة ولا يجب ان يبحث الانسان عن اللذة، والفضيلة هي السعادة الوحيدة ويجب على الانسان ان يكون فاضلاً لا من اجل اللذة بل من أجل الواجب. ولما كانت الفضيلة هي وحدها الخير والريذة وحدها هي الشر فانه يترتب على هذا الانفراق او التناقض الظاهري أن الفضائل كلها خيرة بالتساوي والردائل كلها شريرة بالتساوي وليست هناك درجات^(٣٠).

ان الفضيلة تتأسس على العقل ومن ثم تتأسس على المعرفة، ومن هنا تأتي اهمية العلم والفيزياء والمنطق وهي ليست لها قيمة في ذاتها بل لانها أسس الأخلاقيات والفضيلة الاولى وجذر كل الفضائل الأخرى هي الحكمة، والانسان الحكيم مرادف للإنسان الطيب الخير. من الفضيلة الجذرية وهي الحكمة تصدر اربع فضائل محورية هي الاستبصار والشجاعة والتحكم في النفس والعقل. ولكن لما كانت كل الفضائل لها جذر واحد فان من يمتلك الحكمة يمتلك الفضائل كلها ومن تنقصه تنقصه الفضائل كلها. والانسان اما انه فاضل تماما او شرير تماما^(٣١).

وبالتالي نجد ان الاخلاق والفضيلة من اهم القضايا عند المؤسس زينون، فالفضيلة ووفق رأيه تمثل الخير الوحيد وغاية الانسان في الحياة، وهي ممارسة الفضيلة. من هنا كانت دعوته القوية الى الفضيلة الاجتماعية الكونية المطلقة^(٣٢) التي تمارس فعلها الانساني في العالم كله، ومن يمارس الفضيلة الرواقية لا ينتظر مكافأة، إذ يقول زينون بهذا الخصوص إن ممارسة الفضيلة هي غاية الإنسان في الحياة وسعاده القصوى، والذي يمارس الفضائل يجد مكافأته في الممارسة ذاتها، أي عندما يقوم بتلك الفضائل يكون قد أسهم في تعزيز تلك الروابط السامية بين الدول، فهذا يشعر أنه قد أسهم في بناء عالم مبني على قيم أخلاقية^(٣٣). فاهتمام المدرسة الرواقية الاخلاقية بالفضيلة التي كانت تسعى الى جمع العالم على نبد التعصب والخلاف وترك الرذائل وعلى كبح انفعالاته كلها ومنعها من الظهور على سلوكه الخارجي، وان العقل كما قالوا هو الذي يسير الإنان ويوجه الى الفضيلة. إن فكرة الكون العالمي هي في صميم الفلسفة الرواقية، التي جعلت الأخلاق هي الصفة الجوهرية للكون أو العالم الواحد عموماً. وفلسفة الأخلاق على وجه التحديد هي التي وضعت الأخلاق في مبدأ الكونية أو العالمية^(٣٤).

ثانياً: الدولة الواحدة ودورها في ارساء الرابطة الانسانية

لقد نادى المدرسة الرواقية بالدولة الواحدة او ما اصطلح عليه بعالمية الكون والكون العالمي، ذلك المفهوم الذي أراد من الناس العيش ضمن بوتقة دولة واحدة تكون الأخلاق معيارها الأساسي بل ركيزتها الأساسية التي قامت عليها، إذ ان جميع البشر يرتبطون برباط الانسانية، بعضهم البعض وبالحق ايضا انهم مرتبطون مع الاله المتحكم في العالم ارتباطا يجعل هناك رابطا واحدا يجعل جميع البشر متجهين نحو عبادة واحدة مما يجعلهم في بوتقة واحدة أمام الله^(٣٥).

لقد كان ذلك منشأ قاعدة نظرية للكون تقوم على أن الناس مواطنو العالم الواحد، وليسوا بالضرورة مواطني بلد واحد أو إقليم واحد، إذ إن ذلك يجعل تلك التقسيمات تفرق بين البشر أكثر منها تجمع ومن هذه النظرية آمن الرواقيون وأتباعهم بقانون طبيعي يتربع فوق القانون المدني، وهذا نابع من أنهم يرون أن البشرية عبارة عن أسرة كبيرة واحدة دون أي فروق بينهم، وقد أثروا مباشرة في القانون والمنطق والاخلاق والنظرية السياسية والمعرفة والفلسفة الطبيعية، إذ جعلوا تلك القيم منارة تفتح الطريق إلى عالم واحد، لأن تلك القيم لا يختلف عليها أحد، ولأن جميع البشر يؤمنون بها على الرغم من بعض الاختلافات في فهمها^(٣٦).

وقد كان زينون داركاً كل الأدراك بحقيقة مفادها أن العالم الذي تبغاه المدرسة الرواقية ليس مدينة واحدة من الوجهة السياسية ولا من الوجهة الاقتصادية وغيرهما، لكنه قصد بالمدينة الكونية من

الناحية الاخلاقية التي يمكن جمع العالم على تلك الفضيلة العليا، لأن مضمونها من وجهة نظر زينون أن تجعل العالم يتخلون عن جميع المردولات وترك الشهوات التي يجب ان يلفظها العالم فوراً، فيصبح العالم أجمع يمجّد فضيلة الأخلاق دون تفرقة بين الشعوب في العالم أجمع^(٣٧)، وعلى ذلك بالرغم من تفاوت البشر ومن اختلافاتهم السياسية وخلافاتهم، فإنهم يجب أن يعامل بعضهم بعضاً، سواء أكانت مدناً أو جماعات أو شعوباً أو أفراداً، كما لو كانوا مواطنين في مدينة كونية أخلاقية واحدة^(٣٨).

إن الغاية من الحياة هو تحقيق السعادة، إذ إن الهدف الفلسفي للمدرسة الرواقية هو تحقيق السعادة للبشرية جمعاء دون أي تفرقة بين جميع الشعوب أو لكل فرد، وإن السعادة ليست إلا كبت الانفعالات العاطفية وإخضاع الرغبات غير الأخلاقية لحكم العقل، ولذلك جعلوا تلك الرغبات من الشهوات التي يجب كبتها بين الأفراد حتى يعم الخير. وإن القانون الطبيعي محدود غير قابل للتغيير ومعرفة الطبيعة من أهم أسس الحياة الفاضلة لأنهم رأوا أن القوانين الطبيعية لا تتغير. ومن هنا فقد كانت الأخلاق وحدها دون السياسة، هي القوة المحركة للأفراد والشعوب وأن الأفراد كمخلوقات عاقلة هم أساساً متساوون في كل شيء ويخضعون الى نفس القانون الطبيعي، ولهم حقوق متساوية^(٣٩).

ومن هذا المنطلق فإن المدرسة الرواقية هي التي عملت على إزالة الحواجز بين الشعب الإغريقي والشعوب الأخرى التي تضمنتها إمبراطورية واحدة، وقضت على الفوارق الاجتماعية في المدينة وبين الشعوب المختلفة، فأصبحوا جميعاً يخضعون لنظام سياسي واحد دون أي تفرقة، وهذا هو الحلم الرواقي الذي آمن بأن كل البشر أخوة وقام بمنح المواطنة الرومانية لجميع رعايا الإمبراطورية الممتدة من على مستوى العالم واليونان إلى بلدان أوروبا الغربية، في حين أنه من قبل لم يكن يتمتع بأي حقوق من تلك المواطنة سوى أبناء روما فقط، حتى تصل إلى عتبة الأمم فنجدها ليست إلا تطبيقاً قانونياً للفلسفة الرواقية العالمية^(٤٠)، وبذلك اعتقد الفلاسفة الرواقيون لكل الناس ادراكاً واحداً داخل أنفسهم يجمع يربط كل واحد بكل الناس الآخرين سواء داخل المدينة أو أي مدينة أخرى، إذ لا يكون هناك أي تفرقة بين الجميع، وايضا لوجود إله واحد يتحكم في العالم^(٤١). وقد أدى هذا الاعتقاد الى قاعدة نظرية الكون، وهي فكرة أن الناس هم مواطنوا العالم الواحد، وليس مواطني بلد واحد أو منطقة معينة^(٤٢).

لقد رأى الرواقيون أن الناس يحققون أعظم خير لأنفسهم حينما يجعلون هذا العالم واحداً، ويبلغون السعادة باتباع الحق دون تفرقة بين الأفراد، وبتحرير أنفسهم من الانفعالات والشهوات، والتركيز فقط

على أشياء بوسعهم السيطرة عليها كأنفعالاتهم. وإذا كان الإنسان جزءاً من الله أو الطبيعة، فإن من اليسير أن تحل المشكلة الأخلاقية^(٤٣) على هذا المضمون.

نجد أن الرواقيون يضعون للأخلاق المكانة المحورية، ويهملون الدولة لتحل مكاناً ثانوياً أو هامشياً في تفكيرهم، فالفرد وطرق إسعاده هو محور اهتمام الرواقيين، وحدود انتماءات الفرد عندهم ليس الدولة، بل انتماء أشمل حدوده العالم أجمع^(٤٤).

وبالرغم من إعطاء الأولوية للأخلاق في الرواقية لكنها لم تغفل العامل الديني ودوره في بناء المجتمعات، إذ كان الرواقيون يعترفون بضرورة وجود الدين ليكون أساساً للأخلاق الفاضلة فكانوا ينظرون نظرة التسامح^(٤٥) الكريمة لعقائد الشعب الدينية، وكانوا يجدون لهذه العقائد تفسيرات مصوغة في تشبيهات ومجازات يسدون بها الثغرة الفاصلة بين الخرافة والفلسفة، وكأنهم أرادوا ألا يكتفوا بوضع نظام أخلاقي فقط، بل شاءوا أن يتوسعوا لها أيضاً نظامها الديني، ففكروا في العالم والشرائع والحياة والنفس وعرفوا الأخلاق الفاضلة، التي بنوا عليها فلسفتهم من حيث إنها تجعل العالم أسرة واحدة أو عالمية الكون^(٤٦)، التي تعمل على تقليل الفوارق بين الأفراد، وتعزيز روابط الانسجام بين الدول^(٤٧)، فيخضع ووفق هذا المفهوم (عالمية الكون) كل فرد في عرفها إلى قانونين قانون مدينته وقانون المدينة العالمية، قانون العادة في المدينة وقانون العقل الذي يحكم العالم أجمع. والثاني هو الأهم والأبقى، وفي ضوءه تتلاشى الفوارق بين الدول والمدن، وتحل المشكلات الإقليمية بين بلدان العالم، سواء المحلية أو العالمية^(٤٨).

وبالتالي نجد أن ما ذهب إليه المدرسة الرواقية من خلال عالمية الكون تكون الأخلاق هي جوهرها وأسسها الأول، الذي يتمثل في المساواة التامة بين البشر الذي يجعل منهم فئة واحدة لا يوجد أي فروق بين الأفراد أو المدن، فالحياة عند الرواقيين واحدة والعالم واحد، والعقل هو الحد المشترك بين جميع الناس، مما يجعل الجميع متساوين في العقل، وبالتالي في الرحاب الانساني وفي الحقوق الإنسانية، ولقد كانت التفرقة بين البشر في المجتمعات القديمة تستند إلى الجنس واللون والغنى والفقر والقوة والضعف والحرية والعبودية، ومن سماتها أيضاً مناداتها بوجود الغاء التفرقة على طبقة المهاجرين وعدم معاملتهم معاملة سيئة، وكذلك يجب عد التفرقة بين صغار الحرفيين، وجعل المعرفة عامة شاملة لجميع اجناس البشر دون أي تفرقة، فهي تسوية أصلية بين الجميع لجعل السعادة لجميع البشر في الكون العالمي، فالرواقية أخرجت الإنسان من مواطنة دولة المدينة وأدخلته إلى رحاب وعضوية المجتمع الإنساني^(٤٩) وعلى أساس ذلك تلغى الحدود والفواصل لتحل محلها مدينة الكون الواحد والزمن الواحد. والتي تكون الاخلاق هي الموجه العام لهذه المدينة الأخلاقية، إذ يترتب

عليها أن جميع البشر على السواء لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات دون تمييز بينهم، والتي يتم من خلالها ان يصل الإنسان الى فعل الخير والنجاح وتحصيل السعادة له ولباقي الأفراد^(٥٠).

الاستنتاجات:

اولاً: ان كلمة رواق متأتية من الرواق أي هياكل أثينا فهو المكان الذي يجتمع فيه الفلاسفة والشعراء، وايضا مكانا لممارسة المحاوراة والتعليم.

ثانياً: مثلت الأخلاق في المدرسة الرواقية الركيزة الأساسية والهدف الأسمى لهذا المذهب، فليس للموضوعات الأخرى من قيمة إلا بقدر ما تتعلق بالأخلاق.

ثالثاً: لقد مثل الفرد وطرق اسعاده محور اهتمام الرواقيين، إذ مثلت حدود انتماءات الفرد عندهم ليس الدولة، بل أنتماء أشمل حدوده العالم أجمع. وكان الرواقيون يعترفون بضرورة وجود الدين ليكون اساساً للأخلاق الفاضلة.

رابعاً: ان من أهم ما جاءت به المدرسة الرواقية هو مناداتها بالمساواة التامة بين بني البشر، فهم جميعاً يخضعون للقانون الطبيعي الواحد قبل ظهور مجتمع الدولة ووحدة الانسان، والمساواة بين الناس، فالحياة عند الرواقيين واحدة والعالم واحد، وان البشر يعيشون جميعاً كأخوة متساوين في الحقوق والواجبات في مدينة عالمية أشبه بالعائلة الواحدة والكون الواحد الكبير.

خامساً: ان منشأ القاعدة لنظرية الكون تقوم على ان الناس مواطنو العالم الواحد، وليسوا بالضرورة مواطني بلد واحد أو إقليم واحد، إذ ان ذلك يجعل التقسيمات تفرق بين البشر أكثر مما تجمعهم. ومن هذه النظرية آمن الرواقيين وأتباعهم بقانون طبيعي يتربع فوق القانون.

سادساً: مثلت النظرة الرواقية في التسامح هو انهم كانوا ينظرون نظرة التسامح الكريمة لعقائد الشعب الدينية، وكانوا يجدون هذ التفسيرات مصوغة في تشبيهات ومجازات يسدون بها الثغرة الفاصلة بين الخرافة والفلسفة.

سابعاً: لقد أثبتت المدرسة الرواقية ذات البعد التاريخي الموهل في القدم أن التنوع والاختلاف ما هو الا واقع كوني واردة الهية يستحيل الغاؤها والتعدد ضرورة اجتماعية والمواطنة حق انساني، وبالتالي دعت الى التعامل مع هذا الأمر بوعي تام يحقق التعايش السلمي في ظل هذا التنوع والتعدد.

ثامناً: عملت المدرسة الرواقية على الغاء التعصب بكل أشكاله والوانه ودعت الى الغاء العزلة التي لا تقود الى التعايش بقدر ما تقود الى التحايز بين ابناء البشر، فقد عملت على سياسة الانفتاح

والتواصل بين بني البشر فلا تحدهم حدود ولا يحجزهم حاجز او فاصل جغرافي، وجعل صفة المواطنة العالمية هي الصفة الغالبة بينهم.
تاسعاً: محاربة واجتثاث الافكار الرافضة للآخر هو أس المدرسة الرواقية وركيزتها الأساسية، فقد كانت تدعو الى الانصهار في بوتقة واحدة هي بوتقة عالمية الكون والدولة الواحدة.

قائمة المصادر

- (١) ابن منظور، لسان العرب، مج ٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٨٨.
- (٢) الستار، خالد عبدالاله، الاسس الفكرية لثقافة التعايش السلمي في المجتمعات، مجلة التراث العلمي العربي، ع ٢-٣، ٢٠١٦، ص ٣١٨-٣١٩.
- (٣) المعجم الوسيط، ط ٣، ج ٢، مجمع اللغة العربية، دار الفكر، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٦٣٩ ص ٦٤٠.
- (٤) القحطاني، مسفر بن علي، التعايش الايجابي وخدمة المجتمع وعلاقتها بالنهوض، بحث مقدم الى المؤتمر سبل النهوض بالجالية الاسلامية في امريكا اللاتينية والبحر الكاريبي، بينوس ايرس، ٢٠١٢، ص ٣.
- (٥) مصطفى، حسين فهمي، التعايش السلمي ومصير البشرية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٢٢.
- (٦) شاتليه، فرانسوا، ايدولوجيات الحرب والسلام، ترجمة جوزيف عبدالله، بيروت، ١٩٨١، ص ٥.
- (٧) عبدالستار، خالد عبدالاله، الاسس الفكرية، ص ٣١٣.
- (٨) ستيس، وولتر، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٢٧٩.
- (٩) سقراط: يعد سقراط احد مؤسسي الفلسفة الغربية فهو الفيلسوف والحكيم اليوناني الكلاسيكي، ظهر هذا الفيلسوف وسط انهيار مثل الحقيقة والأخلاقيات من جراء السوفسطائيين ظهرت في اثينا شخصية سقراط الذي قدر عليه أن يستعيد النظام من وسط الفوضى وادراج السوية في الحياة الثقافية المفككة في ذلك العصر. لقد كان أبوه نحاتاً وأمه قابلة، ليعمل بمهنة والده، فقد كان مظهره الشخصي شنيع فهو قصير وقبيح ومع تقدمه بالسن أصيب بالصلع وانفه عريض مسطح ملتو الى الأعلى، أشتغل بالفلسفة فيما بعد لاسيما في اثينا الى ان اتهم وهو في السبعين بانكار الالهة القومية وادراج آلهة من عنده وفساد الشباب وبسبب هذه التهم حكم عليه بالموت: أنظر:
- ستيس، وولتر، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ١١٣.
- (١٠) كزينوفان: يُعد كزينوفان مؤسس المدرسة الالوية ورائدها الذي وُجد عام ٥٧٦ ق.م في قولوفون في ايونيا، وانقضت حياته الطويلة في الترحال في المدن الهيلينية كشاعر ومغن وهو ينشد الاغاني في الموائد والاحتفالات، فقد عرف عنه بكتابة المراثي والهجائيات في شتى الموضوعات، ويتخذ من آرائه الدينية مصدراً مهماً للتعبير عنها: ينظر:
- ستيس، وولتر، الريخ الفلسفة اليونانية، ص ٤٥.

(١١) انتيثيس: يُعد انتيثيس الأثيني مؤسس المدرسة الكلية في النصف الثاني من القرن الخامس - النصف الأول من الرابع ق.م، الذي تلمذ على سقراط والسوفسطائيين وبخاصة جورجياس، أذ كانت رؤيته الفلسفية تتمحور وتتركز حول ان الوجود هو الأشياء الفردية، العيانية، المشخصة، هذا فضلاً عن ان ما تراه مدرسته ان خير الناس من تخلق بأخلاق الله فقلل من حاجاته الى ادنى حد وتحمل الآلام واستهان بها واحتقرها، وزهد في اللذائذ، كما أن الفقر والعمل الشاق المؤلم وسوء السمعة هي امور نافعة تسهل تحصيل الفضيلة وتعين على نيل الحرية: ينظر:

الخطيب، محمد، الفكر الأغريقي، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط١، ١٩٩٩، ص١٣٧-ص١٣٨.

(١٢) اوريليوس، ماركوس، التأملات، ترجمة عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٠، ص٧.

(١٣) المصدر نفسه، ص٨.

(١٤) المصدر نفسه، ص٨.

(١٥) ماجد، فخري، تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس الى أفلوطين وبرقلس، دار العلم للملايين، بلا ت، ص١٧٢.

(١٦) اوريليوس، ماركوس، التأملات، ص٧.

(١٧) الهلينستية: مصطلح أطلقه المؤرخون على المدة التي أعقبت سيطرة الاسكندر المقدوني على الشرق، بعد قضائه على الأمبراطورية الأخمينية سنة ٣٣١ ق.م حتى القرون القليلة الاولى من العهد الميلادي: ينظر:

باقر، طه، موجز تاريخ العلوم المعارف في الحضارات القديمة والحضارات العربية والاسلامية، بغداد، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠، ص١٤٢.

(١٨) الاسكندر المقدوني: يعد الاسكندر المقدوني ابن الملك فيليب الثاني، الذي ارتقى عرش السلطة بعد مقتل ابيه سنة ٣٣٦ ق.م، وكان عمره في وقت الأغتيال عشرين سنة، تعلم على يد الفيلسوف اليوناني ارسطو طاليس، الذي دعاه الملك فيليب الثاني لتعليم ابنه الذي كان بعمر ثلاثة عشر سنة، الذي كان له كبير الأثر على حياته ليشب على حب الحضارة اليونانية، ويتطبع بطباعها: ينظر:

جواد، حسن حمزة، نشوء الدولة السلوقية وقيامها (دراسة تاريخية ٣١٢-٦٤ ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٨، ص١١.

(١٩) تمثلت الأوضاع الدينية بوهن العامل الديني، وعدم وجود سلطة كهنوتية، الأمر الذي ادى الى ضرورة وجود نتاج فكر إغريقي: ينظر:

ماجد، فخري، تاريخ الفلسفة، ص١٧٤.

(٢٠) المدرسة الأبيقورية: عرفت هذه المدرسة نسبة الى مؤسسها أبيقور في ساموس عام ٣٤٢ ق.م، فقد أسس مدرسته هذه قبل عام او عامين من تأسيس زينون للمدرسة الرواقية، والمذهب الأبيقوري مذهب موغل أكثر في الجانب العملي عن المدرسة الرواقية: ينظر:

ستيس، وولتر، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص٢٨٧.

(٢١) الريبية: مدرسة ذات النزعة الشكية التي تدور حول المعتقدات او امكانية المعرفة: ينظر:

ستيس، وولتر، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص٢٩٣.

(٢٢) ماجد، فخري، تاريخ الفلسفة، ص١٧٥.

- (٢٣) المنطق: يعرف المنطق بأنه آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر: ينظر: الفضلي، عبد الهادي، خلاصة المنطق، مجموعة المعارف العقلية، ج٢، ط٣، ٢٠٠٧، ص ١٠.
- (٢٤) فايز، محمد حسين، فلسفة القانون عند ابن خلدون، بلا ط، بلا ت، ٢٠٠٧، ص ١٣١ وما بعدها.
- (٢٥) فوده، السيد عبد الحميد، جوهر القانون بين المثالية والواقعية، مكتبة الكتب العربية، ٢٠٠٥، ص ٢١٦ وما بعدها.
- (٢٦) غازي، طه عوض، دروس في فلسفة القانون الطبيعي بين المنادين به والمنكرين له، دار النهضة العربية، ٢٠٠٧، ص ٧٥.
- (٢٧) لبيب، مصطفى عبد الغني، فلسفة الطبيعة عند الرواقيين، دار الثقافة للنشر، بلا ت، ص ١٩.
- (٢٨) السيد فودة، عبد الحميد، جوهر القانون، ص ١٠٩ وما بعدها.
- (٢٩) فايز، محمد حسين، فلسفة القانون عند ابن خلدون، ص ١٣١ وما بعدها.
- (٣٠) Hamlyn D. w. Greek philosophy After Aristotle p.٧١.
- (٣١) Hamlyn D. w. Greek philosophy , p.٧٢.
- (٣٢) سعيد، جلال الدين، فلسفة الرواق (دراسة ومنتجات)، مركز النشر الجامعي، ١٩٩٩، ص ٣٣.
- (٣٣) المصدر نفسه، ص ٣٤.
- (٣٤) المصدر نفسه، ص ١٩.
- (٣٥) أمين، عثمان، الفلسفة الرواقية، القاهرة، ١٩٤٤، ص ١٧٢ وما بعدها.
- (٣٦) لبيب، مصطفى عبد الغني، فلسفة الطبيعة، ص ٩.
- (٣٧) ماجد، فخري، تاريخ الفلسفة، ص ١٧٢.
- (٣٨) فايز، محمد حسين، ص ١٣١ وما بعدها.
- (٣٩) إيكيتوس، المختصر، ترجمة الدكتور عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠١٥، ص ١٧-٢٢.
- (٤٠) ماجد فخري، تاريخ الفلسفة، ص ١٧٥.
- (٤١) لبيب، مصطفى عبد الغني، ص ١٩.
- (٤٢) المصدر نفسه، ص ١٩.
- (٤٣) ماجد، فخري، تاريخ الفلسفة، ص ١٧٦.
- (٤٤) جلال الدين، سعيد، ص ٢٩.
- (٤٥) النشار، مصطفى، فلسفة أرسطو والمدارس المتأخرة، دار الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠٠٦، ج ١، ص ١٤١ وما بعدها.
- (٤٦) فودة، السيد عبد الحميد، ص ٢١٦ وما بعدها.
- (٤٧) فايز، محمد حسين، ص ١٣١ وما بعدها.
- (٤٨) فودة، السيد عبد الحميد، ص ٢١٦ وما بعدها.
- (٤٩) فايز، محمد حسين، ص ١٣٠-١٣٢ وما بعدها.
- (٥٠) غازي، طه عوض، ص ٧٩.